C

فاطمة صلوات الله عليها

ثَمَرَةُ الجَنّةِ

الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩
www.imamhussain-lib.com
E-mail:info@imamhussain-lib.com



الشيخ علي الفتلاوي

إصدار
وحدة النشر الثقافي
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

جدول محتويات

المقدمة

الحمد للّه الذي منّ علينا بمننه، وأنعم علينا بنعمه، والصلاة والسلام على النور الأول في الليل الأليل والماسك من أسباب اللّه بحبل الشرف الأطول وعلى آله الأخيار المصطفين الأبرار، ساسة العباد، وقادة البلاد أعني محمداً وآل محمد صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين.

نرى من الواجب علينا شكر المنعم، وهذا ما أوجبه العقل وأيده الشرع، وحيث إنّ نعم اللّه تعالى لا تحصى ولا تعد وعطاياه لا تفنى، وجدنا من الأفضل شكره سبحانه على أُولى النعم وأعظمها ألا وهي نعمة الولاية لعباده الصالحين وأوليائه الهادين (محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم وآله الطيبين الطاهرين عليهم السلام).

ومن مصاديق هذا الشكر هو ذكر السيرة العطرة للعترة الطاهرة، وحيث إنّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام هي أُم العترة والحجة على أولادها البررة، أخذنا على أنفسنا عهد التعرض لسيرتها، والوقوف على أفراحها وأحزانها لكي نكون ممن يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، ولما كانت أيام مصيبة الزهراء (عليها السلام) تحيط بنا وجدنا لزاماً علينا ذكر هذا الجانب المؤلم من حياتها.

إنّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أرادها الله تعالى أن تكون بنتاً لسيد الكائنات صلى الله عليه وآله وسلم وزوجة لسيد الأوصياء عليه السلام وأُمّاً لسيدي شباب أهل الجنة عليهما السلام فاقتضت الحكمة أن يكون أساسها طاهراً نقياً حلالاً طيباً، فهي نطفة من ثمار الجنة وُضِعَتْ في صلب طاهرٍ ورحمٍ مطهر.

الشيخ علي الفتلاوي

٢٠١٦/١٠/٢٧

المطلب الأول: تكوّن النطفة في كتب الفريقين

أجمعت الأُمّة على أنّ نطفة فاطمة الزهراء عليها السلام تكونّت من ثمار الجنة ولكي يتضح الأمر نسوق إليكم دليلاً صريحاً من كتب الفريقين وهو كما يلي:

المقصد الأول: نطفة فاطمة عليها السلام في كتب العامة

أ: روى الطبري عن ابن عباس أنّه قال: كان النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم يكثر القبل لفاطمة عليها السلام فقالت له عائشة: إنّك تكثر تقبيل فاطمة، فقال: «إنّ جبريل ليلة أُسري بي أدخلني الجنة فأطعمني من جميع ثمارها فصار ماء في صلبي فحملت خديجة بفاطمة، فإذا اشتقت لتلك الثمار قبلت فاطمة فأصبت من رائحتها جميع تلك الثمار التي أكلتها». قال: خرجه أبو الفضل بن خيرون[١].

ب: روى الحاكم بسنده عن سعد بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم: «أتاني جبريل عليه السلام بسفرجلة من الجنة فأكلتها ليلة أُسري بي فعلقت خديجة بفاطمة فكنت إذا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رقبة فاطمة»[٢].

---

١ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى لمحب الدين الطبري: ص٣٨.

٢ مستدرك الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج٣، ص١٥٦.

ج: روى الخطيب البغدادي بسنده عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله ما لك إذا جاءت فاطمة قبلتها حتى تجعل لسانك في فيها كله كأنك تريد أن تلعقها عسلاً؟ قال: «نعم يا عائشة إني لما أُسري بي إلى السماء أدخلني جبريل الجنة فناولني منها تفاحة فأكلتها فصارت نطفة في صلبي، فلما نزلت واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة وهي حوراء إنسية، كلما اشتقت إلى الجنة قبلتها». وذكره المحب الطبري أيضاً في ذخائره[١]، وقال: خرجه أبو سعد في شرف النبوة[٢].

وهناك حديث للسيوطي في هذا الخصوص سنذكره في محله.

المقصد الثاني: نطفة فاطمة عليها السلام في كتب مدرسة أهل البيت عليهم السلام

أ: جاء في العلل عن جابر بن عبد الله عن الباقر عليه السلام، قال: «قيل: يا رسول الله! إنّك تلثم فاطمة وتلزمها وتدنيها منك وتفعل بها ما لا تفعله بأحد من بناتك؟ فقال: إنّ جبرئيل عليه السلام أتاني بتفّاحة من تفّاح الجنّة فأكلتها، فتحوّلت ماءً في صلبي، ثمّ واقعت خديجة فحملت بفاطمة، فأنا أشمّ منها رائحة الجنّة»[٣].

ب: في البحار عن تفسير علي بن إبراهيم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُكثر تقبيل فاطمة عليها السلام فأنكرت ذلك عائشة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عائشة! إنّي لمّا أُسري بي إلى

---

١ ذخائر العقبة: ص٣٦.

٢ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج٥، ص٨٧.

٣ علل الشرائع: ١/٢١٧، ح١، باب١٤٧

السماء دخلت الجنّة فأدناني جبرئيل من شجرة طوبى وناولني من ثمارها، فأكلته فحوّل الله ذلك ماءً في ظهري، فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة فما قبّلتها قط إلاّ وجدت رائحة شجرة طوبى منها»[١].

المطلب الثاني: عطاء الروايات

بعد التأمل في هذه الروايات ظهر لنا ما يلي:

المقصد الأول: نطفة فاطمة عليها السلام من عالم آخر

إنّ المتأمل في الروايات السابقة يقف أمام هذه المقاطع التي تشير إلى أنّ (نطفة فاطمة من ثمار الجنة) والتي تبتني عليها كثير من الرؤى، فعالم الجنة عالم آخر غير عالم الدنيا، فهو عالم لا تحكمه قوانين الدنيا وسننها، وليس فيه ما في عالم الدنيا من تغييرات أو تبدلات، فلا هرم ولا نصب ولا جوع ولا عطش ولا حر ولا برد فيه بل هي نشأة أُخرى لها قوانينها وصفاتها كما في قول أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: «الْجَنَّةُ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ خَطَّافَةٌ لأَبْصَارِ النَّاظِرِينَ، فِيهَا دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلاَتٌ وَمَنَازِلُ مُتَعَالِيَاتٌ، لاَ يَبِيدُ نَعِيمُهَا، وَلاَ يَضْمَحِلُّ حُبُورُهَا، وَلاَ يَنْقَطِعُ سُرُورُهَا، وَلاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلاَ يَهْرَمُ خَالِدُهَا، وَلاَ يَبْؤُسُ سَاكِنُهَا، آمِنٌ سُكَّانُهَا مِنَ الْمَوْتِ فَلاَ يَخَافُونَ، صَفَا لَهُمُ الْعَيْشُ، وَدَامَتْ لَهُمُ النِّعْمَةُ فِي أَنْهَارٍ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ»[٢].

---

١ بحار الأنوار:٤٣/٦، ح٦، باب١

٢ مطالب السؤال:٥٥

وبما كانت نطفة السيدة فاطمة عليها السلام من ثمر الجنة نجد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كلما اشتاق إلى الجنة يشم فاطمة أو يقبلها لأنّ ريح الجنة يشم على بعد مسير ألف عام من مسافة الدنيا كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله: «إِنَّ مِنْ أَدْنَى نَعِيمِ الْجَنَّةِ يُوجَدُ رِيحُهَا مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ مِنْ مَسَافَةِ الدُّنْيَا»[١].

فلا يشك مؤمن بأنّ لطعام الجنة الأثر الإيجابي في تكوين نطفة السيدة عليها السلام.

المقصد الثاني: طهارة نطفة فاطمة عليها السلام

إنّ نطفة السيدة الزهراء عليها السلام طاهرة مطهّرة من القذارة المعنوية، فليس فيها ما في النطف الإنسانية التي تحمل صفات جينات مختلفة سلبية وإيجابية.

ففي العلم الفسلجي ما يؤكد أن الجينات الوراثية تنتقل من صاحبها إلى الجنين الذي يتكون من هذه النطفة وتلك البيضة التي تحملها الزوجة، ولكي نؤكد هذا المدعى نضع بين يدي القارئ الكريم ما يؤيد ذلك:

أ: العرق دساس

١. قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «تَزَوَّجُوا فِي الْحُجْزِ الصَّالِحِ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاس»[٢].

٢. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تخيّروا لنطفكم فأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم»[٣].

---

١ تفسير القمي:٢/ ٨٢

٢ كنز العمال: ٤٤٥٥٩.

٣ نهج الفصاحة: ص٣٨١.

٣. وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «تخيّروا لنطفكم فإنّ النّساء يلدن أشباه إخوانهنّ وأخواتهن»[١].

ب: الصفات الوراثية

تقول الدكتورة تسبيح ندا استشاري أمراض النساء والتوليد: (إنّ الوراثة تلعب دوراً مهماً جداً في العمل على انتقال الصفات الوراثية من الأب والأم إلى الطفل، حيث تنتقل من جيل إلى آخر الجينات الوراثية التي تنتقل من خلالها الصفات الوراثية إلى الجنين من الأُم والأب؛ فنمو جسم الطفل وتطوره يتوقف على ما إذا كانت الموروثات المتحكمة في بعض الخصائص غالبة على البعض الآخر الذي يتحكم في بعض الخصائص الأُخرى، فإنّ الصفات الوراثية التي تنتقل من الأُم والأب إلى الطفل الصغير تتمثل في لون الجلد أو البشرة، وبنية الطفل وطول وعرض جسمه، وتعد هذه الصفات صفات قليلة بالمقارنة مع تلك الصفات الأُخرى والتي قد يرثها الطفل بشكل كبير أو بمقدار محدود من الأب والأم)[٢].

وحيث إنّ نطفة السيدة الزهراء عليها السلام من ثمار الجنة فهي لا شك خالية من كل قذارة معنوية أو صفات بشرية سيئة.

المقصد الثالث: حلّيّة النطفة وطيبها

لا شك أن النطفة التي تلقح بيضة المرأة لها دور كبير في وجود الجنين، فإذا كانت نطفة من نكاح حلال فهي نطفة طيبة،

---

١ كنز العمال: ٤٤٥٥٧.

٢ الجينات الوراثية للدكتورة تسبيح ندى: ص١٠٥.

وإذا كانت من نكاح حرام فهي نطفة خبيثة، ولكل منهما آثارهما، ولا شك أنّ الوليد الذي يتكون من نطفة حلال يكون مؤهلاً لأداء دور إيجابي في مجتمعه بعكس الوليد الذي تكوّن من نطفة حرام خبيثة فهو مؤهل لأداء دور سلبي، ولذا ذكر المؤرخون أنّ العشرة الذين وافقوا على سحق صدر الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء كلهم أولاد زنا، كما في هذه الرواية الآتية:

قال الراوي: (ثمّ نادى عمر بن سعد في أصحابه: مَنْ ينتدبُ للحسين فيوطئ الخيل ظهره؟ فانتدب منهم عشرة لعنهم الله فداسوا الحسين عليه السلام بحوافر خيولهم حتّى رضّوا ظهره وصدره! قال: وجاء هؤلاء العشرة حتّى وقفوا عند ابن زياد، فقال له أحدهم:

نحنُ رضضنا الصدرَ بعدَ الظهرِ بـكلّ يـعبوبٍ شـديد الأسـرِ

فقال ابن زياد: مَن أنتم؟ قالوا: نحن وطئنا بخيولنا ظهر الحسين حتّى طحنّا جناجن صدره. فأمر لهم بجائزة. قال أبو عمرو الزاهد: فنظرنا في نسب هؤلاء العشرة فوجدناهم جميعاً أولاد زنا)[1].

كما أنّ قاتل سيد الشهداء عليه السلام ابن زنا وذلك في صريح قول المعصوم، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «قَاتِلُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام وَلَدُ زِنًا»[2].

ولمّا كان الله تعالى رسم للسيدة فاطمة عليها السلام دوراً عظيماً في الدفاع عن الإسلام وعن الإمامة لابد أن يجعل نطفتها من الجنة لتكون مؤهلة لأداء هذا الدور باختيارها.

---

١ اللهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس: ص١٨٢-١٨٣.

٢ كامل الزيارات لابن قولويه القمي: ص٧٨.

المقصد الرابع: اتصافها عليها السلام بصفات أهل الجنة

أن تكون نطفة السيدة فاطمة عليها السلام من الجنة يعني ذلك أن تتصف السيدة بصفات أهل الجنة في سيرتها الحياتية، ويجب أن تكون طاهرة من الرذائل لاسيما الكذب والخيانة والظلم، وإلاّ يلزم العبث من جعل نطفتها كذلك، أو يلزم عدم الحكمة الإلهية، فإذا قبلنا أنها متصفة بصفات أهل الجنة، وطاهرة من رذائل أهل الدنيا يجب أن نصدق قولها ونقبل فعلها، ونؤيّد موقفها ضد الظالمين، ونعتبر شانئها باطلاً ظالماً لها.

المقصد الخامس: إكرام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لها دون غيرها

ما ورد في روايات النطفة أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان يقبّل ويشم فاطمة ويؤكد أنّها تحمل رائحة الجنة، فهذا الاهتمام بابنته فاطمة عليها السلام دون غيرها من النساء اللواتي يرتبطن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم سواء كانت هذه النساء زوجات له أو بنات، أو ربائب كما ورد في التاريخ، يشير إشارة واضحة وصريحة بضرورة تعظيم فاطمة الزهراء عليها السلام وحفظ حرمتها من قبل الأُمة، وهذا بذاته تمهيد لنصرتها عندما تختلف مع غيرها، وإقرار لصحة موقفها الآتي مع القوم.

المقصد السادس: صفات فاطمة صفات الحور

ورد في الروايات أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ابنتي فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث، وإنما سماها فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار». وذكره ابن حجر

أيضاً في صواعقه[١]، وقال: أخرجه النسائي[٢].

وهذه الرواية صريحة في أنّ السيدة فاطمة عليها السلام تحمل صفات الحور العين، والتي .... الجمال والكمال في الظاهر والباطن، إذ ذكر القرآن الكريم صفات الحور العين.

١. الحور العين: البيض النقيات والواسعات الأعين.

٢. قاصرات الطرف: طرفهن على أزواجهن لم يردن غيرهم.

٣. لم يمسهن أحد من قبل: لم يصل إليهن أو يطأهن أحد.

٤. خيرات حسان: أي خيرات الأخلاق حسنات الوجوه.

٥. كأمثال اللؤلؤ المكنون: أي الدر المصون المخزون في الصدف.

٦. أبكاراً: أي عذارى.

٧. عرباً أتراباً: متحننات على أزواجهن متحببات إليهم، متساويات في السن.

٨. الياقوت والمرجان: أي كصفاء الياقوت وبياض المرجان[٣].

ولو قرأنا حياة سيدتنا فاطمة عليها السلام فهي حورية في ظاهرها، وهي لم تطمث كما تطمث نساء أهل الدنيا فتشارك الحور في هذه الصفة، وهي أرقى من الحور كونها سيدة نساء أهل الجنة.

---

١ الصواعق المحرقة: ص٩٦.

٢ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج١٢، ص٣٣١.

٣ مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٩، ص٣١٩.

المطلب الثالث: مسائل مهمة

قد يرد في ذهن أحد من الناس سواء كان عالماً أو جاهلا، موالياً أو معادياً، رجلاً كان أو امرأة بعض الأسئلة التي بحاجة إلى أجوبة مقنعة وهي كالآتي:

المقصد الأول: لماذا جعل الله تعالى هذه المقدمة العظيمة (نطفة من ثمر الجنة) لفاطمة عليها السلام؟

الجواب:

أ: لا شكّ أنّ الله تعالى يعلم بالأشياء قبل وجودها، ويعلم كيف تكون، وماذا تصنع في سيرها الوجودي، وما يؤول إليه مصيرها، وهذا ما تدل عليه الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة:

أولاً: دلالة بعض الآيات

١. قال الله تبارك وتعالى في سورة المزمل:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا

اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[١].

٢. **قال تعالى في سورة البقرة:**

﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[٢].

٣. **قال الله عزّ وجل في سورة البقرة أيضاً:**

﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٣].

٤. **قال الله تعالى في سورة الرعد:**

﴿ اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾[٤].

٥. **قال تعالى في سورة الرعد أيضاً:**

﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[٥].

٦. **قال الله عزّ وجل في سورة محمد:**

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

---

١ سورة المزمل، الآية: ٢٠.

٢ سورة البقرة، الآية: ٣٣.

٣ سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

٤ سورة الرعد، الآية: ٨.

٥ سورة الرعد، الآية: ٤٤.

وَالْمُؤْمِناتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْواكُمْ﴾[١].

وعند تأمل هذه الآيات الكريمة يظهر لنا ان الله تعالى يعطي ويمنع ويكرم ويهين ويرع ويضع ويدبر أمور خلقه تبعاً لعلمه السابق على التدبير.

٧. قال سبحانه وتعالى في سورة الحديد:

﴿ما أَصابَ مِنْ مُصيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا في أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ في كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسيرٌ﴾[٢].

عن الإمام الصادق عليه السلام قَالَ: «لَمَّا أُدْخِلَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام عَلَى يَزِيدَ نَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يَا عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ! فَقَالَ عَلِيَّ ابْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: كَلَّا! مَا فِينَا هَذِهِ نَزَلَتْ وَإِنَّمَا نَزَلَتْ فِينَا ﴿ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ﴾ فَنَحْنُ الَّذِينَ لاَ نَأْسَى عَلَى مَا فَاتَنَا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَلاَ نَفْرَحُ بِمَا أُوتِينَا»[٣].

ثانياً: دلالة بعض الروايات

جاء في علم الله تبارك وتعالى أحاديث كثيرة فمنها:

١. عن الْحُسَيْنُ بْنُ بَشَّارٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ أَيَعْلَمُ اللهُ الشَّيْءَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ

---

١ سور محمد، الآية: ١٩.

٢ سورة الحديد، الآية: ٢٢.

٣ تفسير القمي: ج٢، ص٢٧٨.

أَنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ، أَوْ لاَ يَعْلَمُ إِلاَّ مَا يَكُونُ؟ فَقَالَ: «إِنَّ اللّه تَعَالَى هُوَ الْعَالِمُ بِالأَشْيَاءِ قَبْلَ كَوْنِ الأَشْيَاءِ قَالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[١] وَقَالَ لأَهْلِ النَّارِ ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ ﴾[٢] فَقَدْ عَلِمَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ لَوْ رَدَّهُمْ لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَقَالَ لِلْمَلاَئِكَةِ لَمَّا قَالُوا:

﴿ أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ ﴾[٣]

فَلَمْ يَزَلِ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِلْمُهُ سَابِقاً لِلأَشْيَاءِ قَدِيماً قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهَا فَتَبَارَكَ رَبُّنَا وتَعَالَى عُلُوّاً كَبِيراً خَلَقَ الأَشْيَاءَ وَعِلْمُهُ بِهَا سَابِقٌ لَهَا كَمَا شَاءَ كَذَلِكَ لَمْ يَزَلْ رَبُّنَا عَلِيماً سَمِيعاً بَصِيراً»[٤].

٢. وعن عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبْدُوسٍ الْعَطَّارُ رَحِمَهُ اللّهُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قُتَيْبَةَ النَّيْسَابُورِيُّ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ قَالَ: سَمِعْتُ الرِّضَا عَلِيَّ بْنَ مُوسَى عليه السلام يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ وَأَتْقَنَ مَا خَلَقَ بِحِكْمَتِهِ وَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ مَوْضِعَهُ بِعِلْمِهِ سُبْحَانَ مَنْ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»[٥].

٣. لقد بيّن الإسلام مدى عداوة المشركين والمنافقين لرسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، وكذلك محاربتهم للشريعة

---

١ سورة الجاثية، الآية: ٢٩.

٢ سورة الأنعام، الآية: ٢٨.

٣ سورة البقرة، الآية: ٣٠.

٤ كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص١٣٧.

٥ التوحيد للصدوق: ص١٣٨.

الإسلامية والدين الحنيف وشخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

فجاء عن الإمام الحسن العسكري في قوله تعالى ﴿أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ﴾: «مِنْ عَدَاوَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَيُضْمِرُونَهُ مِنْ أَنَّ إِظْهَارَهُمُ الإِيمَانَ بِهِ أَمْكَنُ لَهُمْ مِنِ اصْطِلامِهِ وَإِبَارَةِ أَصْحَابِهِ {وَما يُعْلِنُونَ} مِنَ الإِيمَانِ ظَاهِراً لِيُؤْنِسُوهُمْ، وَيَقِفُوا بِهِ عَلَى أَسْرَارِهِمْ فَيُذِيعُوهَا بِحَضْرَةِ مَنْ يَضُرُّهُمْ، -فقد - دَبَّرَ لِمُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وآله - تَمَامَ أَمْرِهِ، وَبُلُوغَ غَايَةِ مَا أَرَادَهُ اللهُ بِبَعْثِهِ وَأَنَّهُ يُتِمُّ أَمْرَهُ، وَأَنَّ نِفَاقَهُمْ وَكِيَادَهُمْ لاَ يَضُرُّهُ»[١].

فهذه الآيات والروايات تدل على أنّ الله تعالى يعلم بولادة فاطمة عليها السلام ويعمل أنها ستختار موقفها إزاء أبيها من حيث الإيمان والنصرة والدفاع، وموقفها إزاء إمامها وبعلها، وموقفها إزاء غصب الخلافة والرد على الظالمين.

ولكي تكون بهذا المقام، ولكي تؤدي هذه الوظيفة الإلهية تحتاج إلى مقدمات تساعد على نيل هذه الرتبة، وتساعد على أداء موقفها، فجعل نطفتها من ثمر الجنة لكي لا يخدش أحد مقامها ولا يشكك أحد بموقفها، ولا يتجرأ أحد على الطعن بنزاهتها.

المقصد الثاني: هل جعل (نطفة فاطمة من ثمر الجنة) إكرام لفاطمة أم استحقاق؟

أ: إنّ الله تعالى له المنّ والفضل على الناس ابتداءً من إيجادهم ومروراً بحسن خلقهم ولا نهاية لنعمه عليهم، وهذا ما

---

١ التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ص٢٩٨.

يؤكده القرآن الكريم والروايات الشريفة.

أولاً: دلالة بعض الآيات

١. قال تعالى في سورة البقرة:

﴿ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴾[١].

٢. قال تعالى في سورة البقرة أيضاً:

﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[٢].

٣. قال تعالى في سورة النساء:

﴿ ذلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفى بِاللهِ عَلِيما ﴾[٣].

٤. قال تعالى في سورة النور:

﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾[٤].

٥. قال تعالى في سورة النور أيضاً:

﴿ وَلَوْ لا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيما أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذابٌ عَظِيمٌ ﴾[٥].

٦. وقال عزّ وجل أيضاً:

﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ رَؤُفٌ

---

١ سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.

٢ سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

٣ سورة النساء، الآيتان: ٦٩-٧٠.

٤ سورة النور، الآية: ١٠.

٥ سورة النور، الآية: ١٤.

رَحِيمٌ﴾[١].

بعد إيراد هذه الآيات الكريمة يظهر للمتأمل ان الله تعالى صاحب الفضل يعطي ويمنع تفضلا منه على خلقه، وليس لأحد من خلقه حق عليه إلا ما أوجبه على نفسه.

ثانياً: دلالة بعض الروايات

١. عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالى ﴿وَلَوْ لا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ قال: «فضل الله: رسوله، ورحمته: ولاية الأئمة عليهم السلام»[٢].

٢. عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام أَنْ يُعَلِّمَنِي دُعَاءً لِلرِّزْقِ فَعَلَّمَنِي دُعَاءً مَا رَأَيْتُ أَجْلَبَ مِنْهُ لِلرِّزْقِ قَالَ: «قُلِ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ رِزْقاً وَاسِعاً حَلَالاً طَيِّباً بَلَاغاً لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ صَبّاً صَبّاً، هَنِيئاً مَرِيئاً مِنْ غَيْرِ كَدٍّ وَلَا مَنٍّ مِنْ أَحَدِ خَلْقِكَ إِلَّا سَعَةً مِنْ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ فَإِنَّكَ قُلْتَ وَسْئَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ فَمِنْ فَضْلِكَ أَسْأَلُ وَمِنْ عَطِيَّتِكَ أَسْأَلُ وَمِنْ يَدِكَ الْمَلْأَى أَسْأَلُ»[٣].

٣. قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في حديث طويل: «...وَقَالَ تعالى لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله ﴿أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾، وَقَالَ فِي الْأَئِمَّةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ وَعِتْرَتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ صلى الله عليه وآله ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ

---

١ سورة النور، الآية: ٢٠.

٢ البرهان في تفسير القرآن: ج٤، ص٥٢.

٣ الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٥٥٠.

الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾، وَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اخْتَارَهُ اللّه عَزَّ وَجَلَّ لأُمُورِ عِبَادِهِ شَرَحَ صَدْرَهُ لِذَلِكَ وَأَوْدَعَ قَلْبَهُ يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ وَأَلْهَمَهُ الْعِلْمَ إِلْهَاماً فَلَمْ يَعْيَ بَعْدَهُ بِجَوَابٍ وَلاَ يُحَيَّرُ فِيهِ عَنِ الصَّوَابِ»[١].

٤. عن هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ وَأَبِي أَيُّوبَ الْخَزَّازِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللّهِ عليه السلام قَالَ: «جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ صلى اللّه عليه وآله فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الأَغْنِيَاءَ لَهُمْ مَا يُعْتِقُونَ وَلَيْسَ لَنَا وَلَهُمْ مَا يَحُجُّونَ وَلَيْسَ لَنَا وَلَهُمْ مَا يَتَصَدَّقُونَ وَلَيْسَ لَنَا وَلَهُمْ مَا يُجَاهِدُونَ وَلَيْسَ لَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى اللّه عليه وآله مَنْ كَبَّرَ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عِتْقِ مِائَةِ رَقَبَةٍ وَمَنْ سَبَّحَ اللّهَ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ سِيَاقِ مِائَةِ بَدَنَةٍ وَمَنْ حَمِدَ اللّهَ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ حُمْلَانِ مِائَةِ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِسُرُجِهَا وَلُجُمِهَا وَرُكُبِهَا وَمَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَ أَفْضَلَ النَّاسِ عَمَلاً ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلاَّ مَنْ زَادَ قَالَ فَبَلَغَ ذَلِكَ الأَغْنِيَاءَ فَصَنَعُوهُ قَالَ فَعَادَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ صلى اللّه عليه وآله فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللّهِ قَدْ بَلَغَ الأَغْنِيَاءَ مَا قُلْتَ فَصَنَعُوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى اللّه عليه وآله: ﴿ذلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ﴾»[٢].

٥. قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى اللّه عليه وآله فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾: «فَضْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الْقُرْآنُ وَالْعِلْمُ بِتَأْوِيلِهِ، وَرَحْمَتُهُ تَوْفِيقُهُ لِمُوَالاةِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَمُعَادَاةِ أَعْدَائِهِمْ»، ثُمَّ قَالَ صلى اللّه عليه وآله: وَكَيْفَ لاَ يَكُونُ ذَلِكَ خَيْراً مِمَّا يَجْمَعُونَ، وَهُوَ

---

١ الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص٢٠٢.

٢ الكافي للكليني: ج٢، ص٥٠٦.

ثَمَنُ الْجَنَّةِ وَنَعِيمُهَا، فَإِنَّهُ يُكْتَسَبُ بِهَا رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُسْتَحَقُّ بِهَا الْكَوْنُ بِحَضْرَةِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْجَنَّةِ»[١].

٦. عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام في قول الله تعالى ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ قال: «فليفرح شيعتنا هو خير مما أُعطي عدونا من الذهب والفضة»[٢].

وعند تأمل هذه الروايات الشريفة يتضح ان كل ما يصفه الله تعالى بخلقه هو فضل منه عليهم دون استحقاق أحد منهم عليه بشيء.

ب: لعلم الله تعالى بعباده الذين لو أكرمهم بكرامة سيوظفونها فيما يريد ويرضي سبحانه، فلذا أكرم الله تعالى فاطمة عليها السلام بهذه الكرامة، وكل ما يصدر من خير للعباد فهو فضل من الله تعالى، ولعدم وجود حق لأحد من الخلق على الخالق سبحانه، صار كل ما يصدر من خير لهم فضلاً منه سبحانه.

المقصد الثالث: هل يعد (جعل نطفة فاطمة من ثمر الجنة) مخالفاً للعدل الإلهي؟

قد ينقدح في ذهن أحد من الناس هذا السؤال: لماذا لم يعطي الله تعالى هذه الكرامة إلى غير فاطمة عليها السلام من النساء؟ ألا يعد ذلك خلاف العدل؟

الجواب:

أ: وجوب تنزيه فعل الله سبحانه عن الظلم أو العبث أو

---

١ التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ص١٦.

٢ تفسير العياشي: ج٢، ص١٢٤.

الحاجة فالله سبحانه لا يظلم أحداً من خلقه والآيات الكريمة التي تدل على ذلك كثيرة:

أولاً: الآيات التي تدل على نفي الظلم

١. قال تعالى في سورة النساء:

﴿ إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيما ﴾[١].

٢. قال تعالى في سورة الكهف:

﴿ وَوُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصاها وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدا ﴾[٢].

٣. قال تعالى في سورة هود:

﴿ وَما ظَلَمْناهُمْ وَلكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَما أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَما زادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيب ﴾[٣].

ثانياً: الآيات التي تدل على نزاهته تعالى عن العبث

١. قال تعالى في سورة المؤمنون:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لا

---

١ سورة النساء، الآية: ٤٠.

٢ سورة الكهف، الآية: ٤٩.

٣ سورة هود، الآية: ١٠١.

تُرْجَعُونَ ﴾[١].

في كتاب طويل من الإمام علي بن محمد الهادي عليهما السلام إلى أهل الجبر والتفويض يقول: «...وَكُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ بَلْوَى هَذِهِ الآيَاتِ الَّتِي شَرَحَ أَوَّلَهَا فَهِيَ اخْتِبَارٌ وَأَمْثَالُهَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرَةٌ فَهِيَ إِثْبَاتُ الاخْتِبَارِ وَالْبَلْوَى إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ عَبَثاً وَلاَ أَهْمَلَهُمْ سُدًى وَلاَ أَظْهَرَ حِكْمَتَهُ لَعِباً وَبِذَلِكَ أَخْبَرَ فِي قَوْلِهِ ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً ﴾ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ فَلَمْ يَعْلَمِ اللهُ مَا يَكُونُ مِنَ الْعِبَادِ حَتَّى اخْتَبَرَهُمْ قُلْنَا بَلَى قَدْ عَلِمَ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ قَبْلَ كَوْنِهِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ {وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ}وَإِنَّمَا اخْتَبَرَهُمْ لِيُعَلِّمَهُمْ عَدْلَهُ وَلاَ يُعَذِّبَهُمْ إِلاَّ بِحُجَّةٍ بَعْدَ الْفِعْلِ...»[٢].

٢. قال عزّ وجل في سورة آل عمران:

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ ﴾[٣].

٣. قال تعالى في سورة ص:

﴿ وَما خَلَقْنَا السَّماءَ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلاً ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾[٤].

عن عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ وَإِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَغَيْرِهِمَا رَفَعُوهُ قَالَ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام جَالِساً بِالْكُوفَةِ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ صِفِّينَ فَقَالَ عليه السلام: ...«إِنَّ اللهَ

---

١ سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

٢ تحف العقول: ص٤٥٨.

٣ سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

٤ سورة ص، الآية: ٢٧.

تَبارَكَ وَتَعَالَى كَلَّفَ تَخْيِيراً وَنَهَى تَحْذِيراً وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً وَلَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً وَلَمْ يُمَلِّكْ مُفَوِّضاً وَلَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلاً وَلَمْ يَبْعَثِ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ عَبَثاً ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ...»[١].

ثالثاً: الآيات التي تدل على غناه تعالى

١. قال تعالى في سورة فاطر:

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَميد﴾[٢].

عَنْ عَلِيِّ بْنِ عُقْبَةَ عَنْ زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللّهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قال: «...اتَّقُوا اللّهَ، وَلاَ تَمَلُّوا مِنَ الْخَيْرِ، وَلاَ تَكْسَلُوا، فَإِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَغَنِيَّانِ عَنْكُمْ وَعَنْ أَعْمَالِكُمْ، وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّمَا أَرَادَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِلُطْفِهِ سَبَباً يُدْخِلُكُمْ بِهِ الْجَنَّةَ»[٣].

٢. قال تعالى في سورة لقمان:

﴿للهِ ما فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَميدُ﴾[٤].

عن الحسن بن علي عليهما السلام قال: «...اعلموا أنّ من بخل فإنّما يبخل على نفسه، إِنَّ اللّهَ هُوَ الْغَنِيُّ وأنتم الفقراء إليه

---

١ الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص١٥٥.

٢ سورة فاطر، الآية: ١٥.

٣ أمالي الطوسي: ص٦٩٤.

٤ سورة لقمان، الآية: ٢٦.

لا اله إلاّ هو....»[١].

٣. قال تعالى في سورة العنكبوت:

﴿ وَمَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ ﴾[٢].

فإذا ثبت أنّه تعالى لا يظلم ولا يعبث وغير محتاج يثبت أنّه عادل لا يجور على أحد، وحكيم لا خلل في فعله، وجميل لا يصدر عنه قبيح، وكامل لا يصدر عنه نقص.

ب: بعد أن تقدم الكلام في نزاهته تعالى عن الظلم والعبث والحاجة، يثبت أنّ فعله حكيم لأنه تعالى حكيم وهذا ما أشارت إليه آيات الكريمة الآتية:

١. قال تعالى في سورة البقرة:

﴿ قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاَّ ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[٣].

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «...قَالَتِ الْمَلائِكَةُ: ﴿ سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاَّ ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ **[الْعَلِيمُ] بِكُلِّ شَيْءٍ، [الْحَكِيمُ] الْمُصِيبُ فِي كُلِّ فِعْلٍ...»**[٤].

٢. قال تعالى في سورة البقرة أيضاً:

﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْكُمُ الْبَيِّناتُ فَاعْلَمُوا

---

١ تفسير نور الثقلين: ج٤، ص٥٧٤.

٢ سورة العنكبوت، الآية: ٦.

٣ سورة البقرة، الآية: ٣٢.

٤ التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص٢١٦.

أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١].

٣. قال تعالى كذلك في سورة البقرة:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢].

٤. قوله تعالى في سورة آل عمران:

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣].

فمنح عباده بعض عطاياه لحكمة هو يعلمها، ومن حكمته أن جعل نطفة السيدة الزهراء عليها السلام من ثمر الجنة، ومن حكمته جعل ولادة أمير المؤمنين عليه السلام في جوف الكعبة.

ج: فيظهر مما تقدم أن الله تعالى يعلم أن جعل نطفة فاطمة عليها السلام من ثمر الجنة سيكون له دور في رفع مقام السيدة فاطمة عليها السلام وبالتالي ينعكس ذلك على صحة قولها وفعلها.

د: لمّا كان الله تعالى حكيماً، فلا يصح من الحكيم أن يضع الشيء في غير موضعه، فلو جعل الله تعالى نطفة امرأة ما من ثمر الجنة، وهي سوف لن توظف هذه الكرامة في طاعة الله تعالى سيكون فعله هذا مخالفاً للحكمة، فيظهر من هذا ما يلي:

---

١ سورة البقرة، الآية: ٢٠٩.

٢ سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

٣ سورة آل عمران، الآية: ٦٢.

١. إنه تعالى حكيم وجعل نطفة فاطمة عليها السلام من ثمر الجنة فعل حكيم أيضاً.

٢. إنه تعالى حكيم فلا يصح أن يجعل نطفة امرأة أُخرى من ثمر الجنة وهي لا تستثمر ذلك في حياتها، فهذا خلاف الحكمة ولذلك لم يفعله.

٣. وينتج أنّه تعالى عادل ولم يحرم امرأة من هذه الكرامة لأنه علم أن غير فاطمة عليها السلام لم يكن لها دور فاطمة عليها السلام، وعلم أنه لو أعطى ذلك لغير فاطمة لما كانت أهلاً لذلك.

٤. هذه الكرامة فضل وليس استحقاق، والله تعالى يهب فضله لمن يشاء.

المقصد الرابع: هل كانت فاطمة عليها السلام أفضل من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى جعل تعالى لها ذلك؟

لا شكّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سيد الكائنات، وليس هناك مخلوق يقدّم عليه بما في ذلك (علي وفاطمة وأولادهم)، فكل الكائنات دون رسول الله صلى الله عليه وآله حتى الأنبياء والمرسلين، فيتضح أنّ فاطمة عليها السلام دون رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا يراد من إعطائها هذه الكرامة تفضيلها على أبيها، ولكي نبسّط الجواب نقول:

١. إنّ فعل الله تعالى لحكمة لا يعلمها إلاّ هو.

٢. نستطيع أن نقول:

أ: إنّ الله تعالى لم يجعل نطفة النبي صلى الله عليه وآله من ثمر الجنة لعدم الحاجة لذلك.

ب: جعل نطفة فاطمة عليها السلام من ثمر الجنة لحاجة

فاطمة عليها السلام لذلك وهي أن تمارس دورها دون أن ينالها شيء من الطعن فتتم دورها بأكمله.

ج: هذا الفعل (وهو جعل نطفتها من ثمر الجنة) لطف صنعه الله تعالى بفاطمة عليها السلام لعلمه السابق بحاجة فاطمة إليه.

المقصد الخامس: هل كان بإمكان فاطمة عليها السلام الوصول إلى هذه المقامات، لو لم يجعل الله تعالى نطفتها من ثمر الجنة؟

١. إنّ جعل النطفة من ثمر الجنة هو لطف مقرّب إلى طاعة الله تعالى، وليس سبباً قاهراً لها بحيث لا تستطيع السيدة فاطمة عليها السلام أن تخالفه، فهي مختارة لموقفها، وتستطيع أن تصل الى مقاماتها التي وصلت إليها بدون ذلك، ولكن لهذه المقدمة دوراً يساعد في سهولة أداء الدور الذي رسم لها.

٢. إنّ هذا الأمر يدفع التشكيك والطعن بنزاهتها، ويجعل لها مقاماً محترماً عند الناس، فإذا أرادت أن تقول قولاً أو تفعل فعلاً سيصدق قولها وفعلها، ولكن لا يعني سلب اختيارها في أقوالها وأفعالها، فوقوفها مع أبيها في محنته وبعلها في غصب حقه ناشئ من اختيارها، فلذا كان لها الفضل في ذلك.

٣. كل مقامات السيدة الزهراء عليها السلام وصلت إليها باختيارها، مع مساعدة بعض العوامل والتي منها طهارة النطفة وحليتها وطيبها.

٤. الآيات الكريمة والروايات تؤكد هذا المعنى.

أولاً: الآيات الكريمة

- قال تعالى في سورة الإنسان:

﴿ إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُورا ﴾[١].

عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ الطَّيَّارِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللّهِ عَزَّ وَجَل ﴿ إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾ قَالَ: «...عَرَّفْنَاهُ إِمَّا آخِذاً وَإِمَّا تَارِكاً...»[٢].

- قال تعالى في سورة البلد:

﴿ وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْن ﴾[٣].

عَنْ حَمْزَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللّهِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ ﴾، قَالَ: «نَجْدَ الْخَيْرِ وَالشَّر»[٤].

- قال تعالى في سورة فصلت:

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ الْعَذابِ الْهُونِ بِما كانُوا يَكْسِبُون ﴾[٥].

عَنْ حَمْزَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّيَّارِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللّهِ عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى ﴾ قَالَ: «عَرَّفْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى وَهُمْ يَعْرِفُونَ» وَفِي رِوَايَةٍ «بَيَّنَّا لَهُمْ»[٦].

- قال تعالى في سورة العنكبوت:

---

١ سورة الإنسان، الآية: ٣.

٢ التوحيد للشيخ الصدوق: ص٤١١.

٣ سورة البلد، الآية: ١٠.

٤ الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص١٦٣، ح٤.

٥ سورة فصلت، الآية: ١٧.

٦ الكافي للكليني: ج١، ص١٦٣.

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[١].

عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْلَى عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ قَالَ: «نَزَلَتْ فِينَا أَهْلَ الْبَيْتِ»[٢].

ثانياً: الروايات الشريفة

١. قال الإمام الرضا عليه السلام في حديث طويل: «...وَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اخْتَارَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأُمُورِ عِبَادِهِ شَرَحَ صَدْرَهُ لِذَلِكَ وَأَوْدَعَ قَلْبَهُ يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ وَأَلْهَمَهُ الْعِلْمَ إِلْهَاماً فَلَمْ يَعْيَ بَعْدَهُ بِجَوَابٍ وَلَا يُحَيَّرُ فِيهِ عَنِ الصَّوَابِ...»[٣].

٢. عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ قَالَ رُوحٌ اخْتَارَهُ اللَّهُ وَاصْطَفَاهُ وَخَلَقَهُ وَأَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ وَفَضَّلَهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَرْوَاحِ فَأَمَرَ فَنُفِخَ مِنْهُ فِي آدَمَ»[٤].

٣. مِنْ كِتَابِ فَرَجِ الْكَرْبِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ تَفَرَّقَ النَّاسُ شُعَباً وَرَجَعْتُمْ أَنْتُمْ إِلَى أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَأَرَدْتُمْ مَا أَرَادَ اللَّهُ وَأَحْبَبْتُمْ مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ وَاخْتَرْتُمْ مَنِ اخْتَارَهُ اللَّهُ فَأَبْشِرُوا وَاسْتَبْشِرُوا فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ الْمَرْحُومُونَ الْمُتَقَبَّلُ مِنْكُمْ حَسَنَاتُكُمْ الْمُتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِكُمْ فَهَلْ سَرَرْتُكَ»، فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّ الذُّنُوبَ تَسَاقَطُ عَنْ ظُهُورِ شِيعَتِنَا

---

١ سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

٢ تفسير فرات الكوفي: ص٣٢٠.

٣ الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص٢٠٢.

٤ التوحيد للشيخ الصدوق: ص١٧١.

كَمَا يُسْقِطُ الرِّيحُ الْوَرَقَ مِنَ الشَّجَرِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾»[١].

٤. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الرِّضَا عليهما السلام: «مَنِ اخْتَارَ قَرَابَاتِ أَبَوَيْ دِينِهِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ عليهما السلام عَلَى قَرَابَاتِ أَبَوَيْ نَسَبِهِ اخْتَارَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ يَوْمَ التَّنَادِ وَشَهَرَهُ بِخِلَعِ كَرَامَاتِهِ وَشَرَّفَهُ بِهَا عَلَى الْعِبَادِ إِلَّا مَنْ سَاوَاهُ فِي فَضَائِلِهِ أَوْ فَضْلِهِ»[٢].

وعند تأمل الآيات الكريمة والروايات الشريفة التي وردت في أعلاه يظهر ما يلي:

١. ان الله تعالى إذا علم من عبده صدق نيته وحسن اختياره سيعطيه ما يعينه على ذلك (ونيسره لليسرى).

٢. ان العطاء قد يأتي قبل الاختيار أو في اثناء العمل بما يتناسب مع الحاجة لذلك.

٣. ان الله تعالى يختار من عباده ويصطفى منهم لشريعته من علم منه الاختيار الحسن والسير الصحيح الموافق لإرادة الله تعالى ورضاه.

المقصد السادس: هل يصح أن يكون لثمر الجنة الذي من عالم آخر أثر في عالم الدنيا؟

مما لا شك فيه أنّ قانون الأسباب والمسببات قانون إلهي يجري في خلق الله تعالى وكل ما يقع من تأثير للأسباب في إيجاد المسببات هو بإذنه تعالى.

ولكي يتضح الجواب نشير إلى ما يلي:

---

١ أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص٤٥٢.

٢ مستدرك الوسائل والمستنبط المسائل: ج١٢، ص٣٨١.

أ: إنّ بعض المسببات لها أسباب مادية بحتة، كالحريق لا يكون إلاّ بسبب النار، الغرق لا يكون إلاّ بسبب الماء وهكذا، وهذا ما أشارت إليه الآيات الكريمة الآتية:

بعض الآيات التي نزلت حول الحرق بالنار

قبل ذكر الآيات الكريمة لابد أن نذكر ان سبب ذكر هذه الآيات والروايات:

أ. هي لبيان ان الاحتراق لا يقع إلاّ بسببه الذي جعل له ألا وهي النار.

ب. ذكرناها لترطيب القلوب والتذكير بما يردع النفس.

ج. لكي تؤكد قولهم (عليهم السلام) ان الله تبعالى جعل لكل مسبب سبباً لا يختلف ولا يتخلف عنه.

١. قال تعالى في سورة البقرة:

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخيلٍ وَأَعْنابٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ لَهُ فيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَأَصابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفاءُ فَأَصابَها إِعْصارٌ فيهِ نارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[١].

وَقالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: ﴿ وَاللهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ لِمَنْ أَنْفَقَ مالَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاةِ اللهِ ﴾، قَالَ: «فَمَنْ أَنْفَقَ مَالَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ ثُمَّ امْتَنَّ عَلَى مَنْ تَصَدَّقَ عَلَيْهِ كَانَ كَمَا قَالَ اللهُ ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخيلٍ وَأَعْنابٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ لَهُ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَأَصابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفاءُ فَأَصابَها إِعْصارٌ فيهِ

---

١ سورة البقرة، الآية: ٢٦٦.

نارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ قَالَ: الإِعْصَارُ الرِّيَاحُ، فَمَنِ امْتَنَّ عَلَى مَنْ تَصَدَّقَ عَلَيْهِ كَمَنْ كَانَ لَهُ جَنَّةٌ كَثِيرَةُ الثِّمَارِ وَهُوَ شَيْخٌ ضَعِيفٌ لَهُ أَوْلَادٌ صِغَارٌ ضُعَفَاءُ فَتَجِيءُ رِيحٌ أَوْ نَارٌ فَتُحْرِقُ مَالَهُ كُلَّه»[١].

٢. قال تعالى في سورة الحج:

﴿كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ﴾[٢].

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: يَابْنَ رَسُولِ اللهِ خَوِّفْنِي فَإِنَّ قَلْبِي قَدْ قَسَا، فَقَالَ: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ اسْتَعِدَّ لِلْحَيَاةِ الطَّوِيلَةِ فَإِنَّ جَبْرَائِيلَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَهُوَ قَاطِبٌ وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَجِيءُ وَهُوَ مُبْتَسِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: يَا جَبْرَئِيلُ جِئْتَنِي الْيَوْمَ قَاطِباً فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قَدْ وُضِعَتْ مَنَافِخُ النَّارِ، فَقَالَ: وَمَا مَنَافِخُ النَّارِ يَا جَبْرَئِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ بِالنَّارِ فَنُفِخَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ وَنُفِخَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى احْمَرَّتْ ثُمَّ نُفِخَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ، فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الضَّرِيعِ قَطَرَتْ فِي شَرَابِ أَهْلِ الدُّنْيَا لَمَاتَ أَهْلُهَا مِنْ نَتْنِهَا وَلَوْ أَنَّ حَلْقَةً مِنَ السِّلْسِلَةِ الَّتِي طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً وُضِعَتْ عَلَى الدُّنْيَا لَذَابَتِ الدُّنْيَا مِنْ حَرِّهَا، وَلَوْ أَنَّ سِرْبَالاً مِنْ سَرَابِيلِ أَهْلِ النَّارِ عُلِّقَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَمَاتَ أَهْلُ الأَرْضِ مِنْ رِيحِهِ وَوَهَجِهِ، فَبَكَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَبَكَى جَبْرَئِيلُ فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمَا مَلَكاً فَقَالَ لَهُمَا: إِنَّ رَبَّكُمَا يُقْرِئُكُمَا السَّلَامَ وَيَقُولُ قَدْ آمَنْتُكُمَا أَنْ تُذْنِبَا ذَنْباً أُعَذِّبُكُمَا عَلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: فَمَا رَأَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله جَبْرَئِيلَ مُبْتَسِماً بَعْدَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ:

---

١ تفسير القمي: ج١، ص٩٢.

٢ سورة الحج، الآية: ٢٢.

إِنَّ أَهْلَ النَّارِ يُعَظِّمُونَ النَّارَ وَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يُعَظِّمُونَ الْجَنَّةَ وَالنَّعِيمَ وَإِنَّ أَهْلَ جَهَنَّمَ إِذَا دَخَلُوهَا هَوَوْا فِيهَا مَسِيرَةَ سَبْعِينَ عَاماً فَإِذَا بَلَغُوا أَعْلَاهَا قُمِعُوا بِمَقَامِعِ الْحَدِيدِ وَأُعِيدُوا فِي دَرَكِهَا هَذِهِ حَالُهُمْ وَهُوَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: {كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ} ثُمَّ تُبَدَّلُ جُلُودُهُمْ جُلُوداً غَيْرَ الْجُلُودِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ»، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: «حَسْبُكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ»، قُلْتُ: حَسْبِي حَسْبِي[1].

٣. قال تعالى في سورة البروج:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذابُ الْحَرِيقِ ﴾[2].

بعض الآيات التي نزلت في الغرق بالماء

١. قال تعالى في سورة الأعراف:

﴿ فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَكانُوا عَنْها غافِلِينَ ﴾[3].

٢. قال تعالى في سورة الدخان:

﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴾[4].

٣. قال تعالى في سورة هود:

﴿ قالَ سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْماءِ قالَ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحالَ بَيْنَهُمَا

---

١ تفسير القمي: ج٢، ص٨١.

٢ سورة البروج، الآية: ١٠.

٣ سورة الأعراف، الآية: ١٣٦.

٤ سورة الدخان، الآية: ٢٤.

الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾[١].

قال أبو عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾: «..فَدَارَتِ السَّفِينَةُ وَضَرَبَتْهَا الأَمْوَاجُ حَتَّى وَافَتْ مَكَّةَ وَطَافَتْ بِالْبَيْتِ وَغَرِقَ جَمِيعُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَوْضِعَ الْبَيْتِ وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقَ لأَنَّهُ أُعْتِقَ مِنَ الْغَرَقِ فَبَقِيَ الْمَاءُ يَنْصَبُّ مِنَ السَّمَاءِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً وَمِنَ الأَرْضِ الْعُيُونُ حَتَّى ارْتَفَعَتِ السَّفِينَةُ فَمَسَحَتِ السَّمَاءِ...»[٢].

ب: إنّ بعض المسببات لها أسباب معنوية بحتة كدفع البلاء بالدعاء، والتخلص من عذاب الآخرة بالولاية والشفاعة وغير ذلك.

بعض الآيات التي نزلت في رفع البلاء بالدعاء

١. قوله تعالى في سورة يونس:

﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٣].

٢. قال تعالى في سورة الزمر:

﴿ فَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾[٤].

---

١ سورة هود، الآية: ٤٣.

٢ تفسير القمي: ج١، ص٣٢٨.

٣ سورة يونس، الآية: ١٢.

٤ سورة الزمر، الآية: ٤٩.

٣. قال تعالى في سورة الفرقان:

﴿قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لا دُعاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاما﴾[١].

رُوِيَ عن الإمام الرضا عليه السلام: «...أَنَّ الدُّعَاءَ يَدْفَعُ مِنَ الْبَلَاءِ مَا قُدِّرَ وَمَا لَمْ يُقَدَّر...»[٢].

عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام قَالَ: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَقُولُ: «الدُّعَاءُ يَدْفَعُ الْبَلَاءَ النَّازِلَ وَمَا لَمْ يَنْزِلْ»[٣].

بعض الآيات التي نزلت في دفع عذاب الآخرة بالولاية والشفاعة

١. قال تعالى في سورة الأعراف:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٤].

٢. قال تعالى في سورة الشعراء:

﴿فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ﴾[٥].

عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبَانٍ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَابِشِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ

---

١ سورة الفرقان، الآية: ٧٧.

٢ الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام: ص٣٤٦.

٣ الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٤٦٩، ح٥.

٤ سورة الأعراف، الآية: ٥٣.

٥ سورة الشعراء، الآية: ١٠٠.

عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ لَنَا جَاراً يَنْتَهِكُ الْمَحَارِمَ كُلَّهَا حَتَّى إِنَّهُ لَيَتْرُكُ الصَّلاَةَ فَضْلاً عَنْ غَيْرِهَا، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللّهِ وَأَعْظَمَ ذَلِكَ أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ»؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «النَّاصِبُ لَنَا شَرٌّ مِنْهُ أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يُذْكَرُ عِنْدَهُ أَهْلُ الْبَيْتِ فَيَرِقُّ لِذِكْرِنَا إِلاَّ مَسَحَتِ الْمَلاَئِكَةُ ظَهْرَهُ وَغُفِرَ لَهُ ذُنُوبُهُ كُلُّهَا إِلاَّ أَنْ يَجِيءَ بِذَنْبٍ يُخْرِجُهُ مِنَ الإِيمَانِ وَإِنَّ الشَّفَاعَةَ لَمَقْبُولَةٌ وَمَا تُقُبِّلَ فِي نَاصِبٍ وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَشْفَعُ لِجَارِهِ وَمَا لَهُ حَسَنَةٌ فَيَقُولُ يَا رَبِّ جَارِي كَانَ يَكُفُّ عَنِّي الأَذَى فَيُشَفَّعُ فِيهِ فَيَقُولُ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا رَبُّكَ وَأَنَا أَحَقُّ مَنْ كَافَى عَنْكَ فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ وَمَا لَهُ مِنْ حَسَنَةٍ وَإِنَّ أَدْنَى الْمُؤْمِنِينَ شَفَاعَةً لَيَشْفَعُ لِثَلاَثِينَ إِنْسَاناً فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ أَهْلُ النَّارِ {فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ}»[١].

عَنْ أَبِي أُسَامَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللّهِ وَأَبِي جَعْفَرٍ عليهما السلام قَالا: «وَاللّهِ لَنَشْفَعَنَّ فِي الْمُذْنِبِينَ مِنْ شِيعَتِنَا حَتَّى يَقُولُوا أَعْدَاؤُنَا إِذَا رَأَوْا ذَلِكَ ﴿فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾»[٢].

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ مُفَضَّلٍ أَوْ غَيْرِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللّهِ ﴿فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ قَالَ: «الشَّافِعُونَ الأَئِمَّةُ وَالصَّدِيقُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ[٣].

قَالَ حَدَّثَنَا فُرَاتُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكُوفِيُّ مُعَنْعَناً عَنْ جَعْفَرِ ابْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا وَفِي شِيعَتِنَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ اللّهَ تَعَالَى يُفَضِّلُنَا وَيُفَضِّلُ شِيعَتَنَا حَتَّى إِنَّا

---

١ الكافي للشيخ الكليني : ج٨، ص١٠١.

٢ تفسير القمي: ج٢، ص١٢٤.

٣ المحاسن: ج١، ص١٨٤.

لَنَشْفَعُ وَيَشْفَعُونَ فَإِذَا رَأَى ذَلِكَ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ قَالُوا ﴿فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾»[1].

٣. قال تعالى في سورة سبأ:

﴿وَقالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ إِذْ تَأْمُرُونَنا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْداداً وَأَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلالَ فِي أَعْناقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَأَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ﴾ قال: «يسرون الندامة في النار إذا رأوا ولي الله»، فقيل: يابن رسول الله، وما يغنيهم إسرار الندامة و هم في العذاب؟ قال: «يكرهون شماتة الأعداء»[3].

٤. قال تعالى في سورة المائدة:

﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾[4].

عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَما ظَلَمُونا وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ قَالَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَعْظَمُ وَأَعَزُّ وَأَجَلُّ وَأَمْنَعُ مِنْ أَنْ يُظْلَمَ وَلَكِنَّهُ خَلَطَنَا بِنَفْسِهِ فَجَعَلَ ظُلْمَنَا ظُلْمَهُ وَوَلَايَتَنَا وَلَايَتَهُ

---

١ تفسير فرات الكوفي: ص٢٩٨.

٢ سورة سبأ، الآية: ٣٣.

٣ البرهان في تفسير القرآن: ج٤، ص٥٢٣.

٤ سورة المائدة، الآية: ٥٥.

حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يَعْنِي الأَئِمَّةَ مِنَّا»[١].

عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَاشِمِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ قَالَ: «إِنَّمَا يَعْنِي أَوْلَى بِكُمْ أَيْ أَحَقُّ بِكُمْ وَبِأُمُورِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا يَعْنِي عَلِيّاً وَأَوْلَادَهُ الأَئِمَّةَ عليهم السلام إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٢].

٥. قال تعالى في سورة المائدة أيضاً:

﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغالِبُونَ ﴾[٣].

عَنْ أَبِي الْجَارُودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغالِبُونَ ﴾ قَالَ: «إِنَّ رَهْطاً مِنَ الْيَهُودِ أَسْلَمُوا، مِنْهُمْ عَبْدُ اللّهِ بْنُ سَلَامٍ وَأَسَدٌ وَثَعْلَبَةُ وَابْنُ يَامِينَ وَابْنُ صُورِيَا فَأَتَوُا النَّبِيَّ صلى اللّه عليه وآله فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللّهِ إِنَّ مُوسَى عليه السلام أَوْصَى إِلَى يُوشَعَ بْنِ نُونٍ فَمَنْ وَصِيُّكَ يَا رَسُولَ اللّهِ وَمَنْ وَلِيُّنَا بَعْدَكَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿ إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ ﴾ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى اللّه عليه وآله: قُومُوا فَقَامُوا فَأَتَوُا الْمَسْجِدَ فَإِذَا سَائِلٌ خَارِجٌ فَقَالَ: يَا سَائِلُ

---

١ الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص١٤٦، ح١١.

٢ الكافي للكليني: ج١، ص٢٨٩، ح٢.

٣ سورة المائدة، الآية: ٥٦.

أَمَا أَعْطَاكَ أَحَدٌ شَيْئاً؟ قَالَ: نَعَمْ هَذَا الْخَاتَمَ، قَالَ: مَنْ أَعْطَاكَهُ؟ قَالَ: أَعْطَانِيهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي يُصَلِّي، قَالَ: عَلَى أَيِّ حَالٍ أَعْطَاكَ؟ قَالَ: كَانَ رَاكِعاً، فَكَبَّرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وَكَبَّرَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَلِيُّكُمْ بَعْدِي قَالُوا رَضِينَا بِاللهِ رَبّاً وَبِالإِسْلَامِ دِيناً وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيّاً وَبِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَلِيّاً فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ»[1].

ج: إنّ بعض المسببات لها أسباب مادية ومعنوية مشتركة، كسعة الرزق بالكد وبعض الأعمال العبادية كالاستغفار، وكالشفاء من المرض بالدعاء وبالقرآن والدعاء وغير ذلك.

١. قال تعالى في سورة هود:

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾[2].

عن العلاء بن سيابة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إِنَّ عَاداً كَانَتْ بِلَادُهُمْ فِي الْبَادِيَةِ مِنَ الشَّقِيقِ إِلَى الأَجْفَرِ أَرْبَعَةَ مَنَازِلَ وَكَانَ لَهُمْ زَرْعٌ وَنَخِيلٌ كَثِيرٌ وَلَهُمْ أَعْمَارٌ طَوِيلَةٌ وَأَجْسَامٌ طَوِيلَةٌ فَعَبَدُوا الأَصْنَامَ فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمْ هُوداً يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ وَخَلْعِ الأَنْدَادِ فَأَبَوْا وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهُودٍ وَآذَوْهُ فَكَفَّتِ السَّمَاءُ عَنْهُمْ سَبْعَ سِنِينَ حَتَّى قُحِطُوا وَكَانَ هُودٌ زَرَّاعاً وَكَانَ يَسْقِي الزَّرْعَ فَجَاءَ قَوْمٌ إِلَى بَابِهِ يُرِيدُونَهُ، فَخَرَجَتْ عَلَيْهِمُ امْرَأَةٌ شَمْطَاءُ عَوْرَاءُ فَقَالَتْ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا: نَحْنُ مِنْ بِلَادِ كَذَا وَكَذَا أَجْدَبَتْ بِلَادُنَا فَجِئْنَا إِلَى هُودٍ نَسْأَلُهُ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ حَتَّى تُمْطَرَ وَتُخْصِبَ بِلَادُنَا، فَقَالَتْ: لَوِ

---

١ أمالي الصدوق: ص١٢٤.

٢ سورة هود، الآية: ٥٢.

اسْتُجِيبَ لِهُودٍ لَدَعَا لِنَفْسِهِ فَقَدِ احْتَرَقَ زَرْعُهُ لِقِلَّةِ الْمَاءِ، قَالُوا: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَتْ: هُوَ فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا، فَجَاءُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللّهِ قَدْ أَجْدَبَتْ بِلادُنَا وَلَمْ تُمْطَرْ فَاسْأَلِ اللّهَ أَنْ يُخْصِبَ بِلادَنَا وَتُمْطَرَ فَتَهَيَّأَ لِلصَّلاةِ وَصَلَّى وَدَعَا لَهُمْ فَقَالَ: لَهُمُ ارْجِعُوا فَقَدْ أُمْطِرْتُمْ وَأَخْصَبَتْ بِلادُكُمْ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللّهِ إِنَّا رَأَيْنَا عَجَباً! قَالَ: وَمَا رَأَيْتُمْ؟ فَقَالُوا: رَأَيْنَا فِي مَنْزِلِكَ امْرَأَةً شَمْطَاءَ عَوْرَاءَ قَالَتْ لَنَا مَنْ أَنْتُمْ وَمَا تُرِيدُونَ قُلْنَا جِئْنَا إِلَى هُودٍ لِيَدْعُوَ اللّهَ فَنُمْطَرَ فَقَالَتْ لَوْ كَانَ هُودٌ دَاعِياً لَدَعَا لِنَفْسِهِ فَإِنَّ زَرْعَهُ قَدِ احْتَرَقَ، فَقَالَ هُودٌ: تِلْكَ أَهْلِي وَأَنَا أَدْعُو اللّهَ لَهَا بِطُولِ الْبَقَاءِ، فَقَالُوا وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لأَنَّهُ مَا خَلَقَ اللّهُ مُؤْمِناً إِلاَّ وَلَهُ عَدُوٌّ يُؤْذِيهِ وَهِيَ عَدُوَّتِي فَلأَنْ يَكُونَ عَدُوِّي مِمَّنْ أَمْلِكُهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَدُوِّي مِمَّنْ يَمْلِكُنِي، فَبَقِيَ هُودٌ فِي قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللّهِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ حَتَّى تُخْصِبَ بِلادُهُمْ وَأَنْزَلَ اللّهُ عَلَيْهِمُ الْمَطَرَ وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ »[1].

٢. قال تعالى في سورة نوح:

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ﴾[2].

عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ قَالَ: شَكَا الأَبْرَشُ الْكَلْبِيُّ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ لا يُولَدُ لَهُ فَقَالَ لَهُ عَلِّمْنِي شَيْئاً قَالَ: «اسْتَغْفِرِ اللّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِائَةَ مَرَّةٍ فَإِنَّ اللّهَ يَقُولُ ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ

١ تفسير القمي: ج١، ص٣٢٩.

٢ سورة نوح، الآيات: ١٠-١٢.

السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ ﴾»[١].

٣. قال تعالى في سورة الملك: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَناكِبِها وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾[٢].

عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللّهِ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْكَابُلِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِهِ... ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً رَسُولاً ﴾ قَالَ: «الذِّكْرُ اسْمُ رَسُولِ اللّهِ صلى اللّه عليه وآله، وَقَالُوا نَحْنُ أَهْلُ الذِّكْرِ، قَوْلُهُ ذَلُولاً أَيْ فِرَاشاً ﴿ فَامْشُوا فِي مَناكِبِها ﴾ أَيْ فِي أَطْرَافِهَا»[٣].

بعض الآيات التي نزلت للشفاء من الأمراض

١. قال تعالى في سورة النحل:

﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤].

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «لَعْقُ الْعَسَلِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ قَالَ اللّهُ تَعَالَى ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ وَهُوَ مَعَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَمَضْغِ اللُّبَانِ يُذْهِبُ الْبَلْغَمَ»[٥].

---

١ الكافي للشيخ الكليني: ج٦، ص٨.

٢ سورة الملك، الآية: ١٥.

٣ بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٩، ص٢٤٤.

٤ سورة النحل، الآية: ٦٩.

٥ المحاسن للبرقي: ج٢، ص٤٩٨.

٢. **قال الله تعالى في سورة الإسراء:**

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَساراً ﴾[١].

عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنما شفاء في علم القرآن لقوله: ﴿ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ **لأهله لا شك فيه ولا مرية، وأهله أئمة الهدى الذين قال الله** ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا ﴾ **»[٢].**

وبعد بيان هذه المقدمة نقول إنّ للأسباب المعنوية مسببات مادية، وهذا ما حصل من أثر الثمرة التي أكلها النبي صلى الله عليه وآله من الجنة، فأنتجت نطفة مادية تكونت منها السيدة فاطمة عليها السلام.

وهناك الكثير من الروايات التي تؤيد هذا المعنى نذكر منها:

١. **قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ عليهما السلام: «إِنَّ أَيَّامَ زَائِرِي الْحُسَيْنِ عليه السلام لا تُحْسَبُ مِنْ أَعْمَارِهِمْ وَلاَ تُعَدُّ مِنْ آجَالِهِمْ»[٣].**

٢. **قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أَرْبَعٌ مَنْ أُعْطِيَهُنَّ فَقَدْ أُعْطِيَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ: صِدْقُ حَدِيثٍ، وَأَدَاءُ أَمَانَةٍ، وَعِفَّةُ بَطْنٍ، وَحُسْنُ خُلُقٍ»[٤].**

٣. **قال الإمام علي عليه السلام: «صِلْ رَحِمَكَ يَزِيدُ اللهُ فِي**

---

١ سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

٢ تفسير العياشي: ج٢، ص٣١٥.

٣ كامل الزيارات: ص١٣٦.

٤ الجعفريات: ص٢٣٠.

عُمُرِكَ وَحَسِّنْ خُلُقَكَ يُخَفِّفِ اللهُ حِسَابَكَ»[١].

٤. وقال عليه السلام أيضاً: «حُسْنُ الأَخْلَاقِ يُونِسُ الرِّفَاقَ وَيُدِرُّ الأَرْزَاقَ»[٢].

٥. قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إِنَّ الْبِرَّ وَحُسْنَ الْخُلُقِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الأَعْمَارِ»[٣].

٦. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَجَلِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[٤].

٧. عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام أنّه قال: «إِنَّ الرَّجُلَ يُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُحْرَمُ صَلاَةَ اللَّيْلِ وَإِنَّ الْعَمَلَ السَّيِّئَ أَسْرَعُ فِي صَاحِبِهِ مِنَ السِّكِّينِ فِي اللَّحْمِ»[٥].

---

١ أمالي الصدوق: ص٢١٠.

٢ عيون الحكم والمواعظ: ص٢٢٨.

٣ الزهد: ص٢٩.

٤ الخصال: ج١، ص٣٢.

٥ الكافي للكليني: ج٢، ص٢٧٢.